الفصل السادس

الإنبات والنبات في القرآن الكريم

كما ذكرنا فإن التربة هي المهد الذي تنمو فيه النباتات، ومن الناحية العلمية فإن المقصود بعملية الإنبات (Germination) هو تحول البذرة بعد تشربها الماء مع وجودها في وسط مناسب من ناحية الماء ودرجة الحرارة والتربة المناسبة، إلى بداية مرحلة نمو النبات، حيث يتكون جذير يتحرك إلى أسفل في قطاع التربة ورشية تتجه إلى أعلى في اتجاه الشمس، ثم تتكون البادرة التي مع تقدم الوقت تتحول إلى نبات كامل، ولقد ورد في القرآن الكريم معنى إحياء الأرض الميتة بخروج النبات منها، وفي آيات كثيرة ورد ذكر كثير من أنواع النبات من نخيل وزيتون ومحاصيل حقل ومحاصيل خضر وفاكهة، وسوف أحاول هنا ذكر الآيات التي ورد فيها ذكر الإنبات والنبات، مع بعض الخواطر الإيمانية وأشارات الإعجاز العلمي في بعضها، وأدعو الله أن ينعم عليَّ بصحة الفهم وحسن القصد والنية.

وسوف أتناول في هذا الفصل من الكتاب الآيات التي أوردت الإنبات وإحياء الأرض الميتة، والزرع والنبات بكل أنواعه، مع ترك الآيات التي تحدثت عن الرزق وعلاقته بالنبات في الجزء الثالث من الكتاب. وفيما يلي آيات القرآن التي ورد فيها ذكر الإنبات والزرع والنبات مرتبة حسب ترتيبها في المصحف الشريف، وسوف اكتفي بالآيات التي تتحدث عن الانبات والنبات في الدنيا، مع ترك الآيات التي ذكرت النبات والزروع في الجنة، وذلك تبسيطًا للفهم وإيجازًا في الحديث:

- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ....﴾ [البقرة: ٦١]، حيث طلب قوم موسى منه

أنه يخرج لهم ربه من الأرض الأطعمة الدنيئة ولم يطلبوا خير الآخرة، ﴿بَقْلِهَا﴾، أي نباتات البقول، ﴿وَقِثَّآئِهَا﴾، وهو محصول الخضر المعروف، ﴿وَفُومِهَا﴾ قيل هو الثوم، وقال ابن عباس هو الحنطة أو البر الذي يُعمل منه الخبز، وقال بعضهم الفوم كل حب يُختبز أو كل الحبوب.

- ﴿.... وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ....﴾ [البقرة: ١٦٤]، فالأرض الجافة قاحلة لا حياة فيها، وهذه الأرض الميتة يحييها الله بإنزال المطر من السماء عليها، فتنبت كل أنواع النباتات وأيضًا الكثير من أنواع الأحياء والحيوانات التي تدب في الأرض.

- ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، فالله يضاعف ثواب الإنفاق في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف أو أكثر.

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥]، وفي هذه الآية الكريمة إعجاز علمي، حيث تم التعرف علميًا على أن أول خطوات الإنبات هو تشرب الحبوب والنوى للماء فتنتفخ قشرتها ثم تتفلق وتنشق ثم تشق تراب التربة فتنبت منه الزروع على اختلاف أصنافها، فالله سبحانه يخرج النبات الحي من الحب والنوى الذي هو كالجماد الميت.

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩]، سبحان الله فقد جمعت هذه الآية العديد من نعم الله علينا ومن آيات الإعجاز، فقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ أي بسبب الماء، والخضر هو الأخضر أخرجنا الأخضر من النبات، وعلمنا حديثًا أن صبغة اليخضور، أي الكلوروفيل الأخضر في

أوراق النبات هي المسئولة عن إتمام عملية التمثيل الضوئي التي هي عملية أساسية لجميع أنواع الحياة، وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾، أي أن الله جعل من الماء نباتًا أو أصل كل شيء حي، وقد تناولت ذلك بالتفصيل في كتاب سابق لي عن «الماء حقائق وأسرار»، وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ أي زرعًا وشجرًا أخضر، ثم بعد ذلك نخلق فيه الحب والثمر، ولهذا قال تعالى: ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ أي يركب بعضه بعضًا كالسنابل ونحوها، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾ أي جمع قنو وهي عذوق الرطب، ﴿دَانِيَةٌ﴾ أي قريبة من المتناول، وقوله تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ أي ونخرج منه جنات من أعناب، وقوله تعالى: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ أي متشابه في الورق والشكل ومتخالف في الثمار شكلًا وطعمًا، وقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ أي انظروا إليه حال نضجه وفكروا في قدرة خالقه من العدم إلى الوجود مع اختلاف في اللون والشكل والطعم والرائحة، فالآية الكريمة السابقة لخصت الكثير من حقائق وأسرار كثير من العلوم الزراعية من نبات ومحاصيل وخضر وفاكهة.

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، يقول تعالى مبينًا أنه الخالق لكل شيء من الزروع والثمار والأنعام، ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ أي ما عرش الناس، ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ أي ما خرج في البر والجبال من الثمرات، ﴿مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ أي متشابهًا في المنظر وغير متشابه في الطعم، ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ أي من رطبه وعنبه، ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ يعني الزكاة المفروضة.

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[الأعراف: ٥٧]، يرسل الله الرياح ﴿بُشْرًا﴾ أي نشرًا أو منتشرة أي محياه للأرض الميتة التي لا نبات فيها، وذلك لأن الرياح تحرك السحاب الثقال فيسقط المطر الذي يحي الأرض الميتة، فبلد ميت هنا أي أرض ميتة مجدبة لا نبات فيها، والذي أحيا الأرض الميتة قادر سبحانه على إحياء الموتى.

- ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨]، البلد الطيب هنا أي الأرض الطيبة، وهي التي تتوافر فيها عوامل خصب التربة من ماء وهواء وبناء جيد وعناصر غذائية، كما سبق توضيحه، وهذه الأرض الصالحة يخرج نباتها سريعًا ويكون طيب وهذا بإذن الله، أما الأرض الخبيثة مثل الأسباخ أي الأرض الملحية وغيرها لا تزرع إلا بصعوبة وجهد، ﴿نَكِدًا﴾ ولا تعطي نبات جيد الصفات وقد لا تُنبت على الإطلاق.

- ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]، فالحياة الدنيا مثل النبات في أوج مراحل النمو الخضري ونهايتها إلى زوال مثل النبات الذي يصفر في نهاية مرحلة النمو ويصبح حصيدًا، وقوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أي اختلط الماء بالنبات أو اتصل به وخالطه فرباه ونماه، وقوله تعالى: ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا﴾ أي الذين زرعوا الأرض وغرسوها ﴿أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ أي على حصادها، فبينما هم كذلك إذ جاءتها صاعقة أو ريح شديدة باردة، فأيبست أوراقها وأتلفت ثمارها ﴿حَصِيدًا﴾ أي يابسًا بعد الخضرة والنضارة، وقد ضرب الله تعالى مثل الدنيا بنبات الأرض في غير ما آية من كتابه العزيز، ولي هنا خاطرة في ولادة الإنسان وفي موته آية وعظة على قدرة الخالق، ولك أن تنظر إلى النبات كذلك، فعند وضع البذرة في أرض صالحة لا يدري الإنسان هل سوف تخرج وتنبت أم لا مثلما الحال في الإنسان فمنه

العقيم ومنه من ينجب بقدرة الله، وإذا ما نظرت إلى النبات في نهاية حياته وبعد أخذ الثمار منه ولاحظته وهو يحتضر ويموت كأنه لم يكن له وجود، فهذه أيضًا آية وعظة، فمن لم يتعظ بالموت «لأي كائن حي سواء إنسان أو حيوان أو نبات» فلا واعظ له.

- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرَّعْد: ٣]، فقد جعل الله الأرض مستقر لجميع الأحياء، وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون، ليسقي ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم، وقوله تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ ،أي من كل شيء حي صنفان، وقد أوضحنا في التكاثر في النباتات (خاصة الزهرية منها) أنه يحدث تزاوج بين عضو تذكير وعضو تأنيث لكي يتكون فردًا جديدًا، وهذه حكمة الله الفرد الصمد فكل ما عداه زوجين سبحانه وتعالى.

- ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ۚ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرَّعْد: ٤]، فقد جعل الله الأرض يجاور بعضها بعضًا مع اختلاف خصائصها مما يدل على قدرة الخالق العظيم سبحانه تعالى، وقوله تعالى: ﴿ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾ الصنوان هو الأصول المجتمعة في منبت واحد أي للنبات أكثر من ساق واحد أحيانًا كما في الرمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك، وغير الصنوان أي ما كان على أصل واحد كأغلب الأشجار، وقوله تعالى: ﴿ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ۚ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾ أي هذا الاختلاف في الثمرات والزروع في الشكل واللون والرائحة والطعم مع أنها تنمو في نفس التربة وتسقى بنفس الماء، وفي ذلك آيات لمن كان واعيًا، فسبحانه تعالى الذي بقدرته فاوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد.

- ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥-٢٦]، الكلمة الطيبة هي شهادة أن لا إله إلا الله، والشجرة الطيبة هي المؤمن الذي يُرفع عمله الصالح إلى السماء، والكلمة الخبيثة والشجرة الخبيثة مثل كفر الكافر لا أصل له ولا ثبات، ولا يصعد له عمل ولا يتقبل الله منه شيء، وفي حديث عن رسول الله ﷺ ذكر البخاري عن ابن عمر أن الشجرة الطيبة هي النخلة، وقيل الشجرة الخبيثة مثل شجرة الحنظل، وقال ابن عباس ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ هي شجرة في الجنة وهذا يتماشى من سياق قوله تعالى: ﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾.

- ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ [الحجر: ١٩]، فقد مد الله الأرض وبسطها ووسعها وجعل فيها جبال رواسي وأنبت فيها من الزروع والثمار المتناسبة، وقوله تعالى: ﴿ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ أي معلوم ومقدر بقدر.

- ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٠-١١]، أي من الماء شراب ومنه أو بسببه ينبت الشجر والزرع، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ أي وأخرج الله لكم من الماء شجرًا ترعون فيه أنعامكم، حيث السوم: هو الرعي، ويخرج الله لنا من الماء جميع أنواع الزروع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات، يخرجها الله من التربة بهذا الماء الواحد على اختلاف أنواعها وصفاتها.

- ﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [النحل: ٦٥]، من سياق الحديث في الآيات السابقة لهذه الآية، يكون المعنى هنا أن الله جعل القرآن حياة للقلوب الميتة بكفرها كذلك يحي الله الأرض بعد موتها بما أنزله عليها من السماء من ماء.

- ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَٰحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥]، وقد سبق الحديث عن تشبيه الدنيا بالنبات.

- ﴿ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَارْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى النُّهَىٰ ﴾ [طه: ٥٣-٥٤]، أي جعل لنا الأرض ممهدة ومهيئة لحياتنا وجعل لنا فيها طرقًا نمشي في مناكبها وأخرج لنا بماء المطر جميع أنواع النباتات لطعامنا وأقوات أنعامنا، وفي كل ذلك آيات لأصحاب العقول السليمة.

- ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: ٥]، وهذا دليل على قدرة الله على إحياء الموتى، كما يحيي الأرض الميتة الهامدة ويخرج منها بواسطة ماء المطر جميع النباتات في أزواج حسنة المنظر طيبة الريح.

- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ... ﴾ [الحج: ١٨]، وقد تحدثنا من قبل عن سجود كل شيء لله، وسجود كل شيء مما يختص به، والشجر والجبال سجودهما فيضيء ظلالهما على اليمين والشمائل.

- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحج: ٦٣]، ولقد أرشدنا من قبل إلى أهمية اللون الأخضر والكلوروفيل لحياة النبات.

- ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٩-٢٠]، وجعل الله الماء إذا نزل من السماء- وهذا من سياق الآية: (١٨)- سببًا لإخراج جميع النباتات

والبساتين والحدائق ذات المنظر الجميل، وأيضًا النخيل والزيتون اللتان لهما أهمية خاصة علميًا ودينيًا، كما يلي:

النخيل: النخلة شجرة طيبة كلها خير ومنافع ويستعمل الإنسان كل جزء منها، حيث يأكل البلح والتمر وهو ما يُعتبر فاكهة وغذاء، وهناك دراسات حديثة لتصنيع الشيكولاتة من نوى البلح والتمر، وتُستعمل جذوع النخيل في سقف وأقامة المباني، ويستعمل جريد النخل في صناعة الأثاث وأدوات حمل الأشياء والزينة، والنخلة تُوصف بأنها شجرة طيبة تشبه المؤمن في أنها كلها خير، وكذلك المؤمن يرفع عمله الصالح إلى السماء، وفي حديث صحيح رواه البخاري عن ابن عمر: قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «**اخبروني عن شجرة تشبه ـ أو ـ كالرجل المسلم، لا يتحات ورقها صيفًا ولا شتاءً، وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها**»، فلما لم يقول الصحابة شيئًا أجاب الرسول ﷺ وقال: «**هي النخلة**».

وقد أوصى رسول الله ﷺ أن يُفطر الصائم على الماء أو التمر أو التمر مع اللبن، وذلك لما ألهم الله رسوله الكريم ﷺ بفوائد التمر خاصة عندما تكون المعدة خالية من الطعام وحامضية التأثير، ولقد أظهرت علوم الطب والأغذية فوائد التمر الغذائية وتأثيره المفيد في علاج بعض الأمراض مثل حموضة المعدة وغيرها.

الزيتون: الزيتونة شجرة مباركة، وتجود زراعتها مثل النخيل في المناخ الحار الجاف وتحت ظروف التربة غير الجيدة وتتحمل الجفاف ونقص الماء، وأشجار الزيتون كثيرة الفوائد والمنافع، فمن الثمار نستخرج الزيت وبعض أنواع ثمار الزيتون يستخدم في الغذاء كمخللات، ويؤخذ من سيقان أشجار الزيتون الأخشاب، وتستعمل فروعه في الطهي والتدفئة، ومعروف علميًا أن زيت الزيتون خفيف على المعدة ويتميز عن أنواع الزيوت النباتية الأخرى في القيمة الغذائية وفي سهولة الهضم والتأثير المفيد على المعدة والجسم، ويستخدم زيت الزيتون لصناعة زيت الشعر ويستعمل في دهان الجسم لعلاج بعض

الأمراض مثل الأمراض الجلدية، وما زال فرع شجرة الزيتون يستعمل وحتى الآن كرمز للسلام.

وقوله تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ ﴾ يعني الزيتونة، وقوله تعالى: ﴿ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ أي ينتفع بزيتها في الدهن والاصطباغ وأيضًا كأدم، قال رسول الله ﷺ: « **كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة** ». [أخرجه الإمام أحمد عن مالك بن ربيعة الساعدي مرفوعًا].

وفي الآية التالية إشارة إلى شجرة الزيتون المباركة.

- ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ أي يستمد من زيت زيتون شجرة مباركة، ﴿ زَيْتُونَةٍ ﴾ بدل أو عطف بيان، والشجرة الموصوفة في هذه الآية الكريمة في مكان وسط تعصرها الشمس من أول النهار (الشروق) إلى آخره (الغروب)، فيجي زيتها صافيًا بل هو أجود أنواع الزيت.

- ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ٤٨-٤٩]، أي يحي الله بالماء المنزل من السماء أرضًا هامدة لا نبات فيها طال انتظارها للغيث، فلما جاءها الماء عاشت وأكتست رباها أنواع الأزاهير والألوان، ومن هذا الماء يشرب الحيوان والأناسي وتروى الزروع.

- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٧]، خلق الله الأرض وأنبت فيها من كل زوج كريم، من زروع وثمار وحيوان، قال الشعبي: الناس من نبات الأرض، فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم.

- ﴿ جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ [الشعراء: ١٤٧-١٤٨]، يذكر صالح قومه ثمود بنعم الله عليهم وعلى كل عباد الله بأن الله رزقهم وأنبت لهم من الجنات وفجر لهم من العيون، وأخرج لهم الزروع والثمرات، وقوله تعالى: ﴿ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ أي أينع وبلغ فهو هضيم أي حين يطلع تقبض عليه فتهضمه.

- ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل: ٦٠]، قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ﴾ أي لم تكونوا تقدرون على إنبات أشجارها والإنبات هنا يعني أيضًا إنبات البذور والثمار والظهور بشكل واضح على سطح التربة، وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق، وقوله تعالى: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ أي لا يعترفون بوحدانية الله بل يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق.

- ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

- ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الروم: ١٩]

- ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم: ٢٤].

- ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم: ٥٠].

- ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴾ [الروم: ٥١].

- ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [لقمان: ١٠].

- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [السجدة: ٢٧]، الأرض الجرز هي التي لا نبات فيها، ويبين تعالى لطفه بخلقه في إرساله الماء من السماء والأنهار إلى الأراضي المحتاجة إليه، وبسبب هذا الماء يخرج من هذه الأراضي الزروع التي يتغذى عليها الناس وأنعامهم.

- ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر: ٩]، الماء هو سبب للحياة، فالبلد الميت هنا يعني الموت لكل من البلد بما فيه من إنسان وحيوان وأرض ونبات، وبإرسال الله الماء تظهر كل أنواع الحياة لجميع ما سبق.

- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨]، من قدرة الله خلقه الأشياء المتنوعة من الشيء الواحد، وهو الماء الذي ينزله من السماء، يخرج به ثمرات مختلفًا ألوانها وأيضًا طعمها وروائحها، وكذلك خلق الله الجبال مختلفة الألوان، وكذلك الناس والدواب والأنعام مختلفة الألوان والأشكال والصفات، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به وبما أوجده لعباده؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير أتم كانت الخشية أعظم والطاعة أوجب، والخشية هي التي تحول بين العبد وبين معصية الله عَزَّ وجَلَّ.

- ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٣-٣٦]، فكل ما ذكره الله في هذه الآيات دلالة لنا على وجود الخالق العظيم، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي ما ذاك كله إلا من رحمة الله تعالى لنا،

لا بسعينا وكدنا، فنحن لا حول لنا ولا قوة، وتأمل في النهاية قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي خلق الله من أزواج أخرى لا ندري ولا نعلم عنها شيء.

- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠]، أي الله هو الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرًا نضرًا، ثم أعاده إلى أن صار يابسًا توقد به النار، أو يصنع منه الفحم أو يوجد في الأرض في صورة فحم نباتي توقد به النار، وقيل المراد بذلك شجر المرخ والغفار الذي ينبت في أرض الحجاز، لو أخذنا منه عودين أخضرين وقدحنا أحدهما بالآخر تتولد النار بينهما، وفي المثل: لكل شجر نار واستمجد المرخ والغفار، وقال الحكماء: في كل شجر نار إلا العناب.

- ﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٦]، وذلك في ذكر قصة سيدنا يونس عندما التقطه الحوت ولبث في بطونه فتره ثم لفظه، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين، قال ابن مسعود وابن عباس اليقطين هو القرع، وقال سعيد بن جبير هو كل شجرة لا ساق لها، ومعروف لعلماء النبات «القرعيات» والتي منها الخيار والقثاء والقرع، وذكر بعضهم في القرع صفات وفوائد، منها سرعة نباته وتظليل أوراقه لكبر حجمها وأنه لا يقربها الذباب، وجودة تغذية ثماره، وأنه يؤكل نيئًا ومطبوخًا بلبه وقشره أيضًا.

- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١]، يقسم علماء النبات والمحاصيل مراحل نمو النبات إلى أربع مراحل هي:

١- المرحلة الأولى وهي تشمل مرحلة الإنبات ومراحل النمو الأولى.

٢- مرحلة تطور النبات، وتبدأ من نهاية المرحلة الأولى حتى الوصول إلى أقصى نمو خضري.

٣- مرحلة متوسط موسم النمو، وهذه تكون من أقصى نمو خضري حتى بداية النضج والتي يتغير فيها لون الأوراق ويختفي لونها الأخضر، وتستمر هذه المرحلة حتى قرب الحصاد.

٤- مرحلة آخر موسم النمو، وهي من نهاية المرحلة الثالثة حتى اكتمال النضج والحصاد.

والآية السابقة تشير في إيجاز لمراحل نمو النبات، حيث توضح أن أصل الماء في الأرض من السماء، ومن هذا الماء تخرج الزروع المختلفة الشكل والطعم والمنافع، ثم بعد نضارة النبات وشبابه يكتهل فتراه مصفرًا قد خالطه اليبس، ثم يعود يابسًا يتحطم، وفي كل ذلك عبرة لأصحاب العقول الصحيحة.

- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

- ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٧]، أي كل شيء بعلمه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

- ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١].

- ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، يخبر الله تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان، والشجرة كانت بأرض الحديبية.

- ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً

﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، فهذه الآية تصف الرسول ﷺ وأصحابه، فقد أخبر سبحانه أن الرسول هو رسوله حقًا بلا شك، ثم ثنى بالثناء على أصحابه رضي الله عنهم، فأصحاب الرسول أيدوه وآزروه ونصروه، فهم معه كالشطء من الزرع، ﴿شَطْـَٔهُۥ﴾ أي فراخة ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي شده وقواه، ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ أي شب وطال، وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ نلاحظ هنا لفظ الزراع حيث لا يفهم في ازرع غير المتخصص بعملية الزراعة الذي يفهم في أصولها وهم الزراع، وقوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ أي أن الصحابة يغيظون الكفار، فالصحابة لهم الفضل والسبق ولهم الجنة، ومن غاظ الصحابة وبغضهم فهو كافر برأي الإمام مالك رحمه الله ووافقه طائفة من العلماء، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو ان أحدكم انفق مثل أحُد ذهبًا ما ادرك مدُ أحدهم ولا نصفهُ**».

- ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧].

- ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩-١٠-١١]، أنزل الله من السماء ماءً نافعًا فأنبت به حدائق وبساتين ونحوها، وقوله تعالى: ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ أي الزرع يراد لحبه وادخاره، وقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ أي طوالًا شاهقات، وقوله تعالى: ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ أي منضود، وأحيا الله بهذا الماء الأرض التي كانت هامدة لا نبات فيها، وهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك.

- ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: ١٠-١١-١٢]، أي وضع الله الأرض وأرساها بالجبال الشامخات، لتستقر بما على وجهها من الأنام، وهم الخلائق المختلفة، وقوله تعالى: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ أي فاكهة مختلفة الألوان والطعوم والروائح، وقد أفرد الله النخل

بالذكر لشرفه ونفعه رطبًا ويابسًا، والأكمام، كما قال ابن عباس: هي أوعية الطلع، وهو الذي يطلع فيه القنو، ثم ينشق عن العنقود فيكون بسرًا ثم رطبًا، ثم ينضج ويتناهى ينعه واستواؤه، وقيل الأكمام رفاتها وهو الليف الذي على عنق النخلة، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴾ العصف يعني التبن، وعنه: العصف ورق الزرع الأخضر الذي قطع رؤوسه، فهو يسمى العصف إذا يبس، والريحان يعني الورق.

- ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٣-٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ معناه شق التربة وإثارتها ووضع البذور فيها، ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ ﴾ أي تنبتونه في الأرض وتسيرونه زرعًا، ﴿ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾ أي بل نحن نقره قراره وننبته في الأرض... سبحانك يا ربنا نحن لا حول لنا ولا قوة على عمل ذلك، وقوله تعالى: ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا ﴾ أي لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده، وقوله تعالى: ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ أي تنوعون كلامكم، فتقولون تارة ﴿ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴾ أي معذبون، وتارة تقولون ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ أي لا يثبت لنا مال ولا ينتج لنا ربح أي لا حظ لنا، وقيل أيضًا في معنى تفكهون أي تعجبون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم أو تلاومون أو تندمون، قال الكسائي: تفكه من الأضداد، تقول العرب: تفكهت بمعنى تنعمت، وتفكهت بمعنى حزنت.

- ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾ [الواقعة: ٧١-٧٢]، قد سبق الإشارة إلى أن الله جعل من الشجر الأخضر نارًا.

- ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الحديد: ١٧]، وفي هذا إشارة إلى أن الله يلين القلوب بعد قسوتها ويفرج الكروب بعد شدتها، مثلما يحيي الأرض الميتة الهامدة بالغيث، وهو سبحانه لما يشاء فعال.

- ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ

﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، فالدنيا دنيئة وفانية، وقد سبق الإشارة لتشبيه الدنيا بالنبات يصبح حطامًا بعدما كان خضرًا نضرًا.

- ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥]، اللين هو ألوان التمر أو نوع منها، وقال ابن جرير: هو جميع النخل، روى الإمام أحمد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قطع نخل بني النضير وحرق، نكاية بهم وخزي لهم وإرغام لأنوفهم، فأنزل الله هذه الآية الكريمة، أي ما قطعتم من لينة وما تركتم من الأشجار، فالجميع بإذنه ومشيئته وقدرته ورضاه.

- ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧]، فهل خلق أو إنبات البشر من تراب الأرض أصعب من قدرة الله على إنبات بذور النبات، بالطبع لا، والله فعال لما يريد.

- ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ: ١٤-١٦]، المعصرات هي الرياح تستدر المطر من السحاب أو هي السحاب التي ينزل منها المطر، ﴿ثَجَّاجًا﴾ أي منصبًا أو متتابعًا أو هو الصب المتتابع، ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ أي بساتين وحدائق مجتمعة الأشجار.

- ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠-٣١].

- ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤-٣٢]، فانظر أيها الإنسان وتعقل من القادر على أن يخرج كل هذه الأصناف من الطعام للإنسان والحيوان، هل من أحد سوى الله يقدر على ذلك؟، فقد أنزل سبحانه الماء من السماء فأسكنه في الأرض فأنبت كل الأصناف التالية: ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ فالحب كل ما يذكر من الحبوب، والعنب معروف، والقضب هو الفصفصة تأكلها الدواب رطبة ويقال لها القت أيضًا، أو هو العلف للحيوان، ﴿وَزَيْتُونًا﴾ وهو

معروف، وهو أدم وعصيره أدم ويستصبح به ويدهن به، ﴿ وَغُلْبًا ﴾ ويؤكل ثمره بلحًا وبسرًا ورطبًا وتمرًا ونيئًا ومطبوخًا ويعتصر منه رب وخل، ﴿ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴾ أي بساتين أو كل ما التف واجتمع والشجر الذي يستظل به، وقيل غلبًا أي غلاظ الأوساط، ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ أما الفاكهة فكل ما يتفكه به من الثمار، والأب ما أنبتت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس أي هو الكلأ والمرعى.

- ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾ [الأعلى: ٤-٥]، أي أخرج جميع صنوف النباتات والزروع، فجعلها في النهاية هشيمًا متغيرًا.

- ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾ [التين: ١].

۞ ۞ ۞